# الخط الكوفي في المغرب والاندلس

ا.م.د اياد كاظم هادي جلو
جامعة الكوفة / كلية العلوم السياسية

اولا : نشأة الخط الكوفي

مصرت الكوفة سنة ( ١٧هـ / ٦٣٨م )[١] قريبة من الحيرة وريثة حضارات وسط وجنوب العراق وهذا ما يؤيده الراي القائل بان الخط الحيري[٢]يعتبر المصدر الذي تطور عنه الخط العربي قبل الاسلام

كان بداية ظهور الخط الكوفي على المسكوكات العربية الاسلامية وبعض النقوش الكتابية مثل رسائل الرسول ( انظر شكل ١) ويتضح ان اللين واليبوسة[٣] صفات من اصول الكتابة العربية في الجاهلية والاسلام ، حتى اصبحت في نهاية العصر الراشدي وبداية العصر الاموي اكثر دقة ورصانة ويميل الى الليونة اكثر ، وقد اطلق المختصين[٤]على الخط الكوفي خلال العصر الراشدي والعصر الاموي بشكل عام بالخط الكوفي البسيط او الكوفي البدائي وذلك لخلوه من أي ضرب من ضروب الفن والزخرفة ولم يلحقه أي تظفير او تزهير ويميل نحو التأنق والليونة دون ان تدخل عليه أي زيادات او زخارف نباتية ، ويقوم على اصول هندسية حيث تلتقي الحروف الهندسية العمودية مع الحروف الممتدة المنبسطة ( لوح شكل ٢ ) ومن الخط الكوفي ولد الخط المغربي الذي نحن بصدد دراسته .

ثانيا : الخط الكوفي في بلاد الاندلس والمغرب العربي الاسلامي

يشمل الخط الكوفي المغربي بصفة عامة مجموع الخطوط في بلاد المغرب والاندلس وهي تلك الرقعة الجغرافية الممتدة من برقة في ليبيا الى قرطبة الى نهر الابرو في الاندلس والتي تميزت تاريخيا بوحدة ذهنية وحضارية ولاحقا مذهبية تفاعلت فيها عناصر عربية وامازيغية وافريقية واوربية بنسب متفاوتة ويطلق على الخط المغربي العربي على الخطوط التي نشأت بالمغرب الاقصى وتطورت فيما بعد فاحتضنها سكان بلاد المغرب وطوروها وتفننوا فيها على مدى قرون .

انتشر الخط العربي الكوفي بالموازاة مع انتشار تعاليم الاسلام منذ القرن الاول الهجري السابع الميلادي واقبل الامازيغ بمساعدة العرب على تعلم الخط العربي الكوفي بموازاة

اقبالهم على تعلم وحفظ القرآن الكريم وبالتدرج استقر الخط الجديد في مدوناتهم وثقافتهم وبلغت الكتابة بالخط الكوفي المغربي عبر توالي السنين الى تطور الخط المغربي الكوفي الذي تميز بانه شديد الزوايا وتكثر فيه الانحناءات والاستدارات لاسيما في نسخ المصاحف ( لوح شكل ٤ ) والكتب واقدم اثار حملت الخط العربي الكوفي المغربي هي المسكوكات الاسلامية حيث وصلنا العديد من قطع النقود الاسلامية التي تعود الى بداية القرن الاول الهجري وهي تحمل الخط الكوفي المغربي ( انظر شكل ١ ) ويمكن تمييز نوعين من الخطوط العربية المتطورة عن الخط الكوفي في هذه المرحلة

اولا : الخط الكوفي القيرواني

اكتسبت القيروان اهمية سياسية التي تاسست سنة ( ٥٥٢هـ/٦٧٠ م ) فهي كانت محط القوافل العربية والعسكرية انطلقت منها لنشر تعاليم الاسلام وبقيت تحتفظ بأهميتها السياسية هذه حتى انفصالها عن الخلافة العباسية عندما اصبحت عاصمة دولة الاغالبة ومركز المغرب العلمي فتحسن بها الخط العربي تحسنا عظيما وعرف بالخط القيرواني الذي امتازت حروفه بانها مستطيلة ومزواة [٥] ومن القيرواني تفرعت عدة خطوط منها الفاسي والتونسي وهي تتشابه فيما بينها والفروق تكاد تكون ضئيلة وتختلف في تسميتها وطرق بسط خطوطها وتزويتها الذي استخدم على الرقوق والمهارق وفي العمارة الاسلامية في كتابة ايات القران الكريم والماثورات الاسلامية وشواهد القبور والمخطوطات المختلفة بأشكاله الهندسية الكوفية بالطابع القيرواني ومن القيروان عبر الخط العربي الكوفي القيرواني الى بلاد الاندلس مع العرب والامازيغ المسلمين.

ثانيا : الخط الكوفي الاندلسي

ان الخط الكوفي الاندلسي هو امتداد للخط المغربي الكوفي والذي ابتعد لاحقا شكلا واسما عن الخط الكوفي المغربي واصبح يعرف باسم الخط العربي الاندلسي وبدا يظهر فيه بعض الميل للاقتباس من الخط اللاتيني في بدايته واخذ يمتاز بالاستدارات وتداخل الكلمات واطالة اواخر الحروف والعناية بتنسيق السطور وتحسين جودتها وبيان الحروف ولترتيب الحروف الأندلسية والمغربية يخالف المدرسة العربية الاسلامية في المشرق وهي كما يأتي[٦]

(أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي)[٦].

دخل الحرف العربي إلى كافة مرافق الحياة الأندلسية ، فهو في سطور الكتاب، وهو في زخارف اللوحات، وهو في زخارف البيوت والمساجد ، وقصور الحكام، والأمراء والسلاطين، وهو في الكنائس والكاتدرائيات، وبه يقرأ المسلم القرآن في صلاته(لوح شكل ٣ ) ، والنصراني في إنجيله، واليهودي في توراته، وأصبح الأدباء والشعراء والمؤرخون والفنانون من الأديان الثلاثة يكتبون به، وكما دخل الخط الكوفي الأندلسي إلى المساجد فقد دخل الكنائس النصرانية والبيعَ اليهودية عن رغبة وشوق زائدين، لأن غير المسلم وجد فيه وسيلة للثقافة، ودفعاً للفن الرفيع.

وازدهرت الأندلس، ونسي المجتمع الذي عاش فيها متآخياً قروناً طويلة اللغة التي كانت سائدة في الأندلس قبل دخول المسلمين إليها، مما دفع ملوك أوروبا إلى إرسال أولادهم إلى مدارس الأندلس لتعلّم العلوم، والعودة بعد إتقانها إلى بلادهم، مما جعلهم يبذرون في أوروبا بذور العلم لنهضة تتناول كافة وجوه الحياة. ولكن بعد قرون من دخول العرب إلى الأندلس. وهذا ما جعل كبار المفكرين والمؤرخين يفخرون بالتغني بأيام العرب في الأندلس فيما نقلته زيغريد هونكه حيث قالت: على بساط من نبات المسك والعنبر يتثنّى، وتصفّر الريح خلاله، كانت أقدامنا تسير[٧] .

وانتعشت أسواق الكتب في سائر المدن الأندلسية، وأصبح في كل مدينة سوق لبيع الكتب ومزاد لبيع الكتب بالمزاودة بازار وأصبح المخطوط العربي تحفة من التحف التي يزيّن بها الأثرياء قصورهم، ومادة أساسية لطلاب العلم الذين جعلوا غرفة في بيوتهم ذات رفوف وخزن كمكتبة خاصة لهم.[٨] إضافة إلى عشرات المكتبات العامة في كل مدينة، يرتادها الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء ، ويشترك الخط الأندلسي بمميزات الفنية الكثيرة .

ثالثا : انواع الخط العربي الأندلسي

استطاع الفنانون العرب في الأندلس عبر التاريخ من العمل على تطوير الخط العربي في الاندلس وجعل له مميزات خاصة به مختلفة نوعا ما عن انواع الخطوط العربية الأخرى

في باقي اقاليم الدولة العربية الإسلامية فاغنوا أساليبه بأشكال هندسية مبتكرة وزخارف ذات خصوصيات فنية مميزة واصبح الخط الاندلسي يتميز بأربعة انواع

اولا : الخط المبسوط

والمعروف بأحرفه الواطئة المبسوطة ، ويتميز بالوضوح والسهولة وهو من اهم انواع الخط الاندلسي ويستعمل في كتابة المصاحف وتوجد نماذج منه حاليا ( شكل ٥ ) ويبدو هذا الخط رشيقا ومستقيم التركيب ويتطلب رسم حروفه تأن وهو ليس من الخطوط السريعة لذلك يكثر رسم المصاحف والنقوش الجدارية بهذا الخط ويكتب بقلم سميك[٩].

ثانيا : الخط المجوهر

انحدر الخط المجوهر من المبسوط وبدأت نماذجه تظهر في حدود القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي واصبح خط الكتابة اليومي في الاندلس وقد ظهر هذا الخط في مدارس الفنية في المغرب العربي ( شكل ٧ ) ومنه انتشر الى بلدان الاندلس وقد حل محل الخط المبسوط لسرعة الكتابة به واستعمل في كتابة الكتب العلمية والوثائق الرسمية وهو يشبه الخط النسخي[١٠] وهو خط دقيق وسلس يستعمل في الكتابات السريعة والمستنسخات وتدون به الكتب، وتكتب به المراسلات والوثائق السياسية والظهائر السلطانية. ومقاييس حروفه أقل حجما من المبسوط وبعضها مطموس وهي العين والغين إذا وقعتا في وسط الكلمة ، والفاء والقاف والواو والميم. وهي سمة تميز هذا الخط وتزيده رونقا وعذوبة

ثالثا: الخط الزمامي الاندلسي

اشتق اسم الزمامي من الزمام وهو التقييد للدلالة على نوع من الوثائق وينحدر من الخط المجوهر[١١] أو كما يسميه المختصين (خط العدول أو خط الطلبة بتسكين اللام ) وهو خط يتميز بالسلاسة والسرعة ، ويستعمل في كتابات عقود البيوع والشراء والمواثيق والعهود وكل ما يتصل بالوثائق العدلية وفي كل أنواع المعاملات اليومية والتقاييد الشخصية نظرا لسرعته، سطوره متقاربة فيما بينها، وتتسم حروفه بصغر حجمها وبكثرة الميلان وبالتشابك والاختزالات حتى تصل إلى حد الطلسمية أحيانا، مما يصعب قراءته

على عامة الناس ولا يستطيع قراءته إلا من تمرس على هذا الخط ، ولا يستعمل في الكتب العلمية التي تتداول كثيرا ، وانما في الوثائق التي لا يقرأها عادة الا القضاة او الخطاطين او النساخين ( لوح شكل ٩ )

رابعا : خط الثلث الاندلسي

تتميز حروفه بالانسيابية وبالليونة والتناسق ويوصف بالجمال لرونقه وشكله العذب ، ويستعمل في كتابات عناوين الكتب وبعض المراسلات ، وأيضا في العمارة الاندلسية كعنصر جمالي زخرفي يهدف إلى تزيين جدران المساجد والقصور وكذلك في شواهد بعض القبور، (لوح شكل ٧)

خامسا : خصائص ومميزات الخط العربي الاندلسي

يشترك الخط الاندلسي مع الخط المغربي وباقي الخطوط العربية في كثير من الخصائص الفنية والجمالية حيث ان الخط العربي فنا وعلما قائما بذاته الى جانب قيمته الوظيفية باعتباره اداة ووسيلة لنقل المعارف والعلوم والقيم والافكار المختلفة ومن اهم خصائصه :

اولا : الجمالية " يتميز الخط الاندلسي بقيمة جمالية من تراصف وتلاحق وتكرار بأسلوب هندسي وانسيابي جميل حيث تتوزع على اللوحة المراد زخرفتها بالخط العربي الاندلسي بشكل متناسق [١٢].

ثانيا : الانسجام والتناغم " ويتميز باستقامة الحروف وامتدادها ورشاقتها وسيطرتها على فضاء اللوحة بنوع من الحضور الهندسي المرتب ويجعل الفنان للناظر قوة حضور الحروف وتعانق بعضها يعبر عن رهافة الحس لدى الفنان العربي المسلم

ثالثا : التجريد " استطاعت النزعة التجريدية للفنان العربي المسلم ان تجعل من الخط ابرز الفنون الاسلامية فادخل في جميع الفنون[١٣] الاسلامية باعتباره وحده زخرفية جمالية مجردة لا غنى عنها في فن العمارة والكتاب والصنائع الاخرى .

رابعا : الغنى والتنوع " تنوع الخط الاندلسي بتنوع رؤى وأذواق الفنانين المسلمين والمواد التي تستخدم في الخط فكان لكل خطاط مسلم يترك لمساته التعبيرية وروحه الفنية وهكذا

تنوع الخط الاندلسي او الخطوط العربية بشكل عام بتنوع الخطاطين الذين خطت اناملهم تلك اللوحات الخالدة

خامسا : الليونة والانسيابية " يعتبر خط الثلث الاندلسي ( لوح شكل ٧ ) من اكثر الخطوط العربية ليونة فحروفه تسمح بالانسيابية والتكرار وخلق اشكال مختلفة[١٤] ، إن الخط العربي في الأندلس لا يزال رغم مرور أكثر من ألف عام يحكي قصة الفن والإبداع العربي والإسلامي الذي توصّل إليه الخطاط والفنان المسلم في الأندلس حين وجد البيئة المناسبة للإبداع والنبوغ، وحين كان التقدم والعطاء المستمر ديدن كل عربي مبدع، مما يجعلنا حين نقف على ما خلّفه العرب في الأندلس من آثار رائعة نقول: من هنا مرّت الحضارة العربية الإسلامية، ومن هناك عبرت الحضارة الإسلامية إلى أوربا ، وفي هذه الأرض المعطاء انتعشت البذور الغضة التي زرعها المفكرون العرب قبل دخولهم إليها وبعده واستمر الحرف العربي في الأندلس ثمانية قرون، كان خلالها مثالاً يحتذي للنهضة العلمية الرائعة التي خلّفها العرب في الأندلس، والتي أصبحت فيما بعد أنموذج المجتمع الإسلامي المثالي لمن أراد أن يعمل بروح الإسلام. وكانت الابتكارات الكثيرة، في تنوع الخط العربي الاندلسي هي التي اغنت حضارة الاندلس في الجمال والاناقة .

الالواح والصور

نموذج للخط العربي في بداية الاسلام رسالة الرسول الكريم الى المنذر بن ساوي

لوح شكل ( ١ )

درهم عرب لوح شكل ( ٢ )

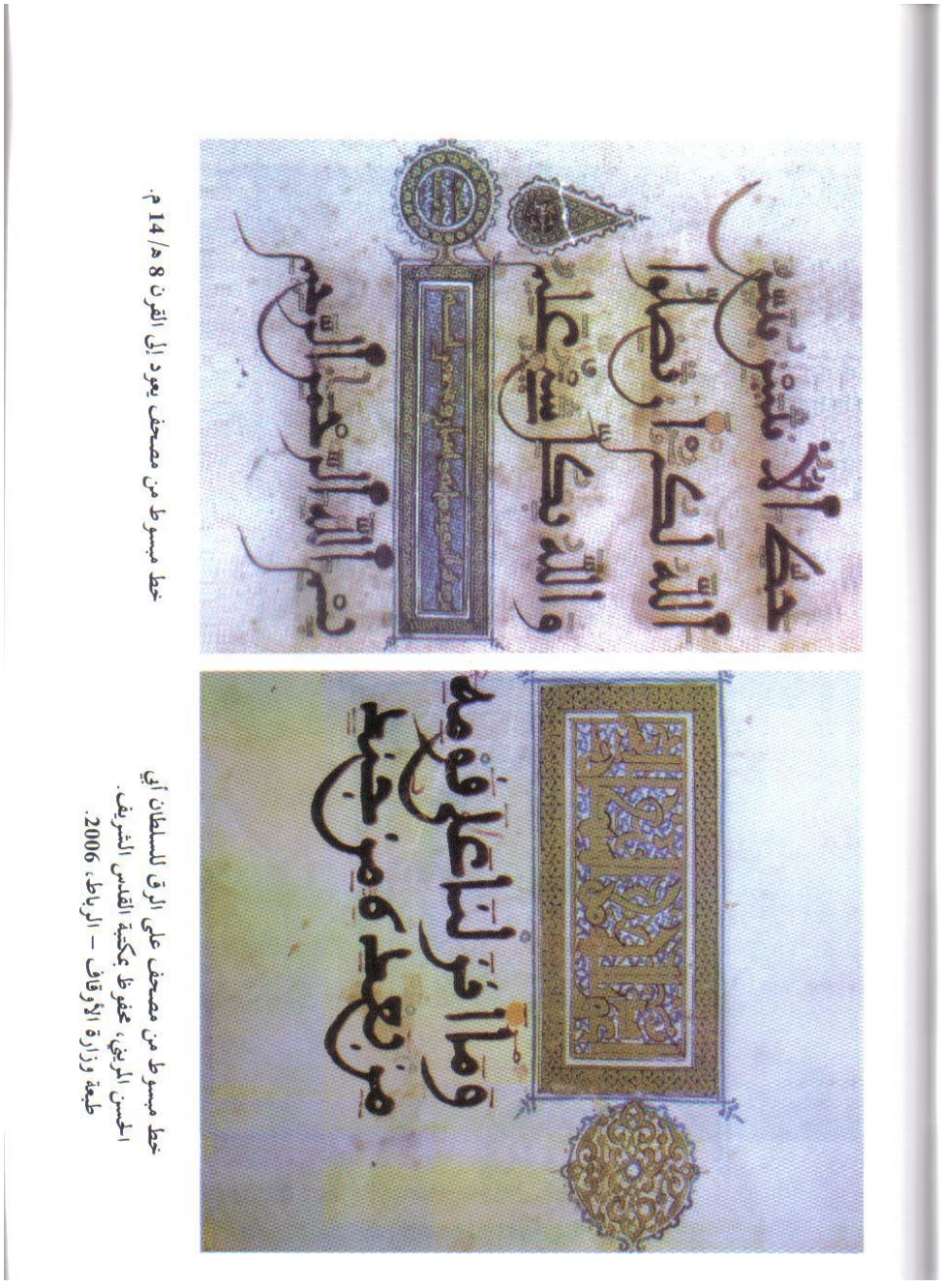

خط مبسوط من مصحف يعود إلى القرن 8 هـ/ 14 م.

خط مبسوط من مصحف على الرق للسلطان أبي الحسن المريني، محفوظ بمكتبة القدس الشريف. طبعة وزارة الأوقاف – الرباط، 2006.

شكل ( ٣ )

( نسخة من المصحف الكريم بالخط الأندلسي لوح شكل ٤ )

( الخط الاندلسي المبسوط نسخة من مصحف محفوظ بالمتحف الاثري الاسلامي بغرناطة لوح شكل ٥ )
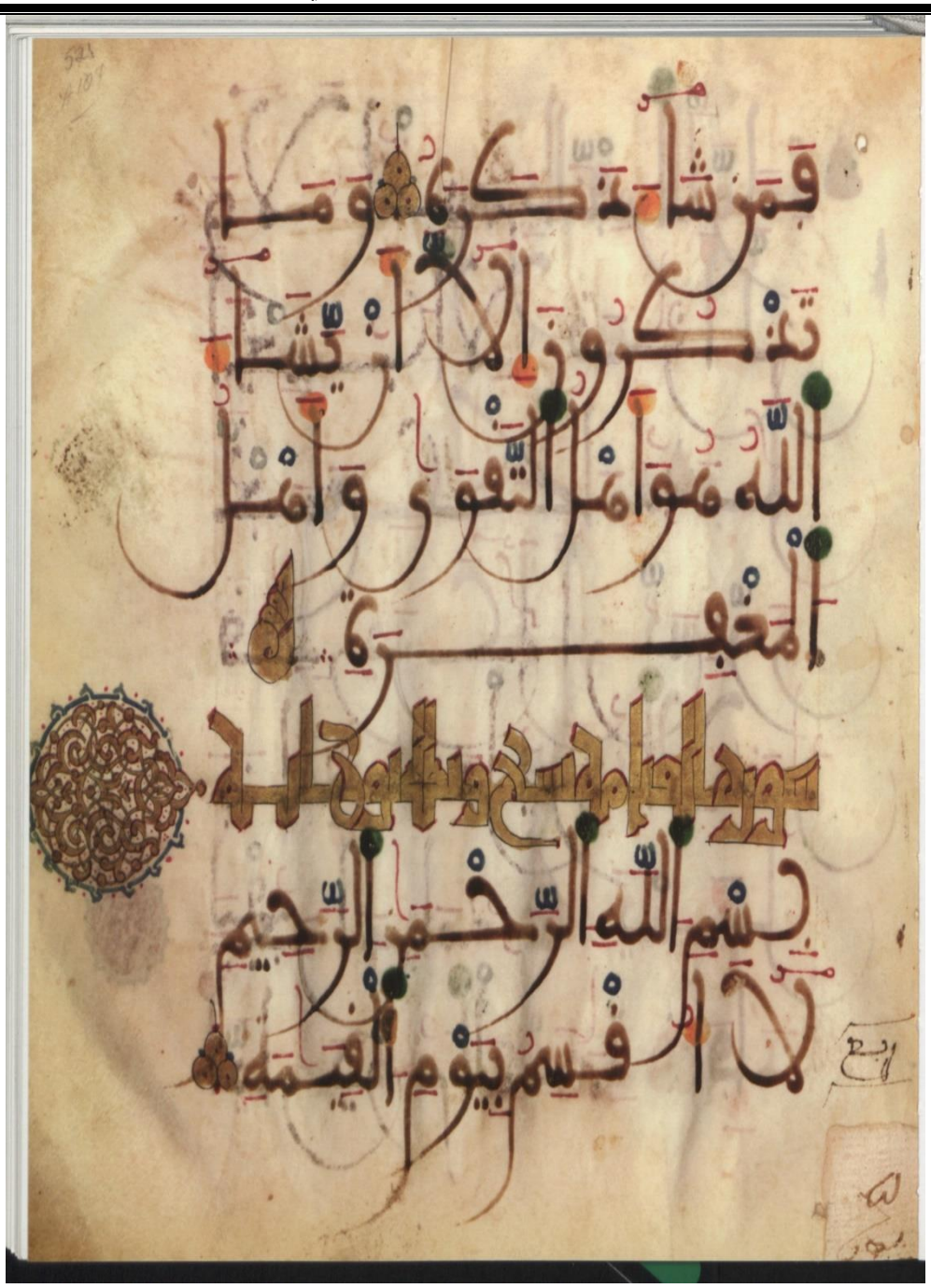
الخط القيرواني نسخة من مصحف كريم ( عن كتاب فنون الاسلام لناصر الخليلي ، الامارات العربية ، ص٢٧ ) ( شكل ٦ )

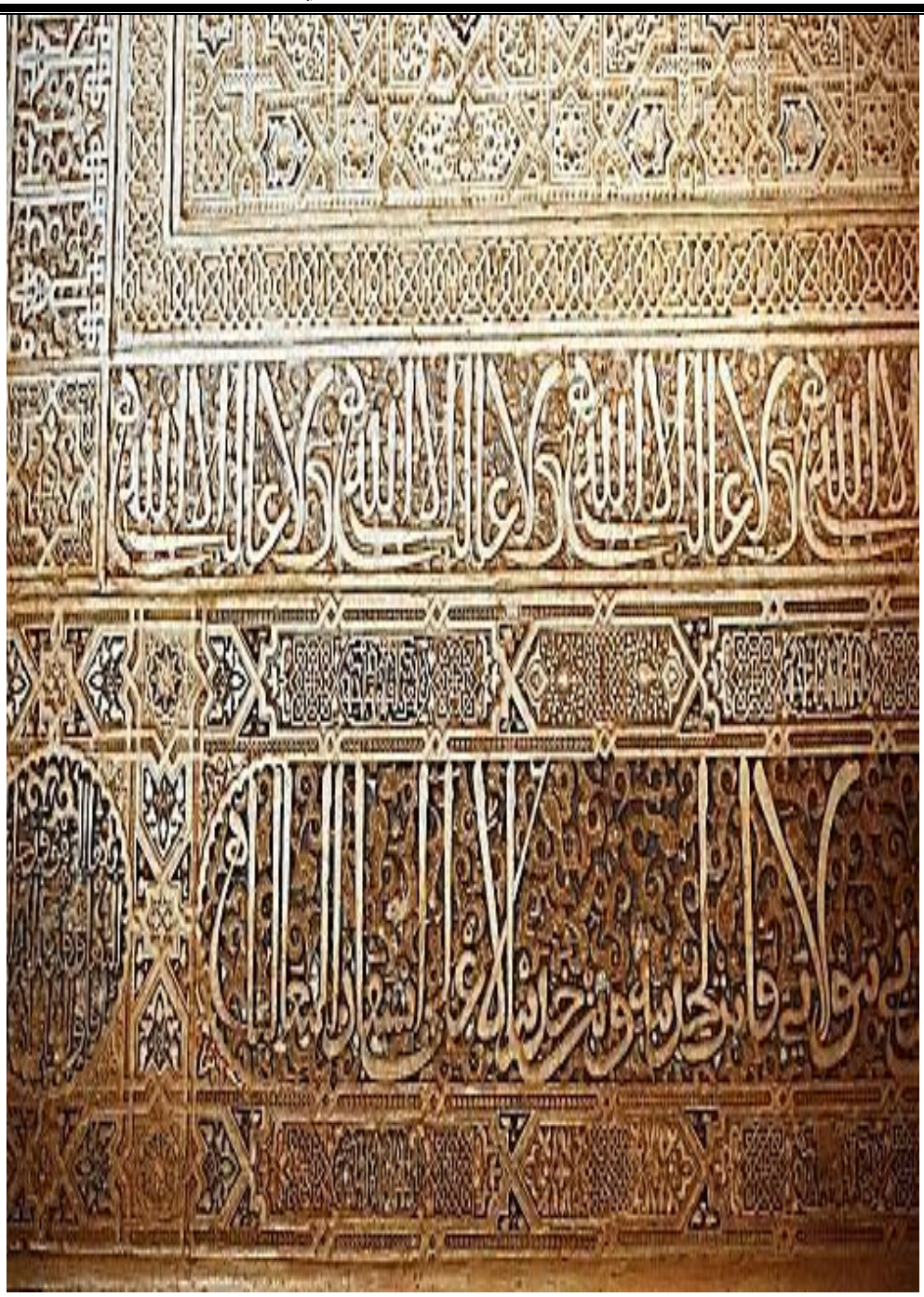

( خط الثلث الاندلسي لوحة جدارية من قصور الاندلس لوح شكل ٧ )

خط الثلث والمجوهر، من الصفحة الأخيرة
من البردة للبوصيري بخط بادو المكناسي 1219 هـ.
نسخة خاصة.

( لوح شكل ٨ )

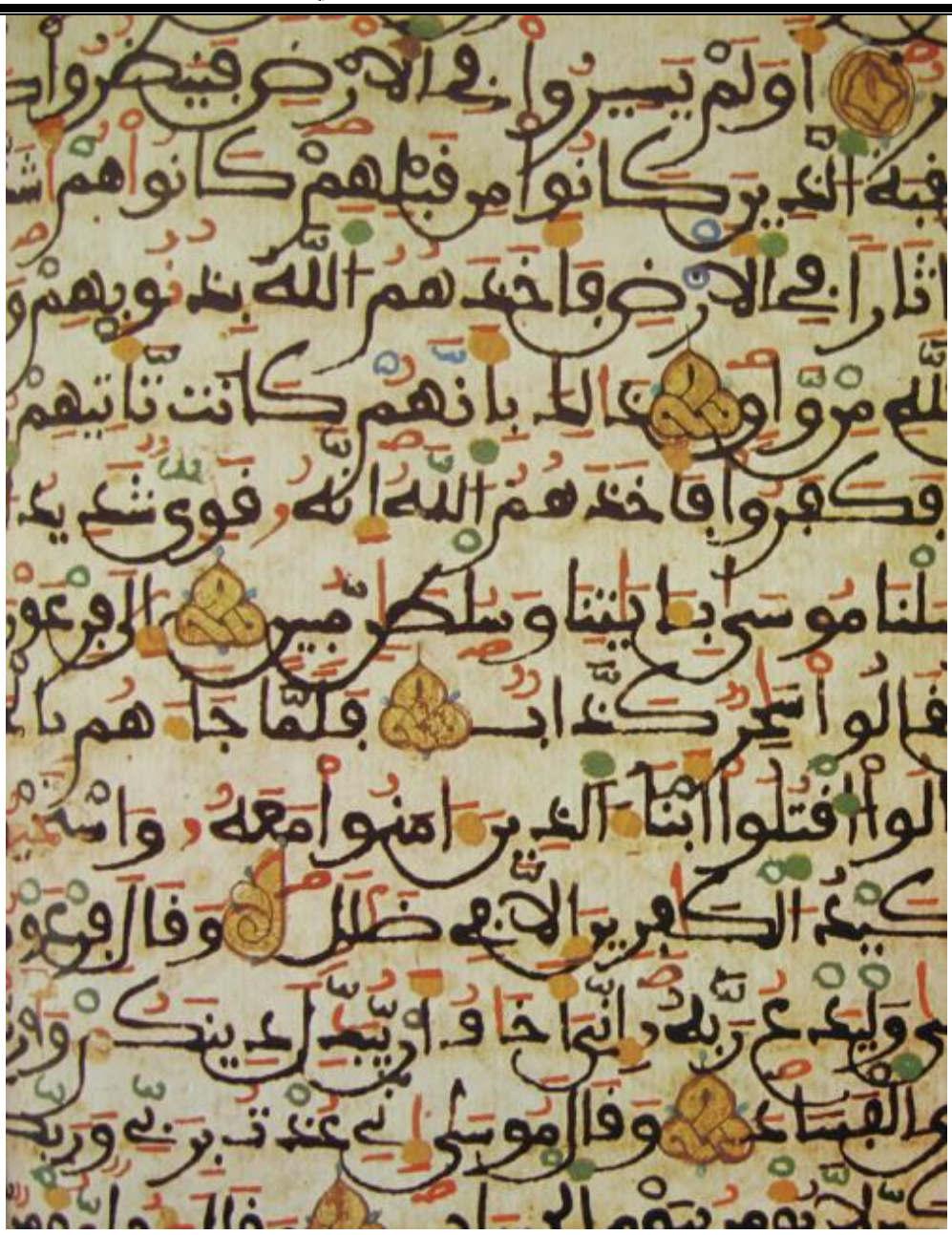

الخط الزمامي نسخة من مصحف كريم عن كتاب الخط المغربي ، لعمر افا ص١٠٥ ،
( لوح شكل ٩ )

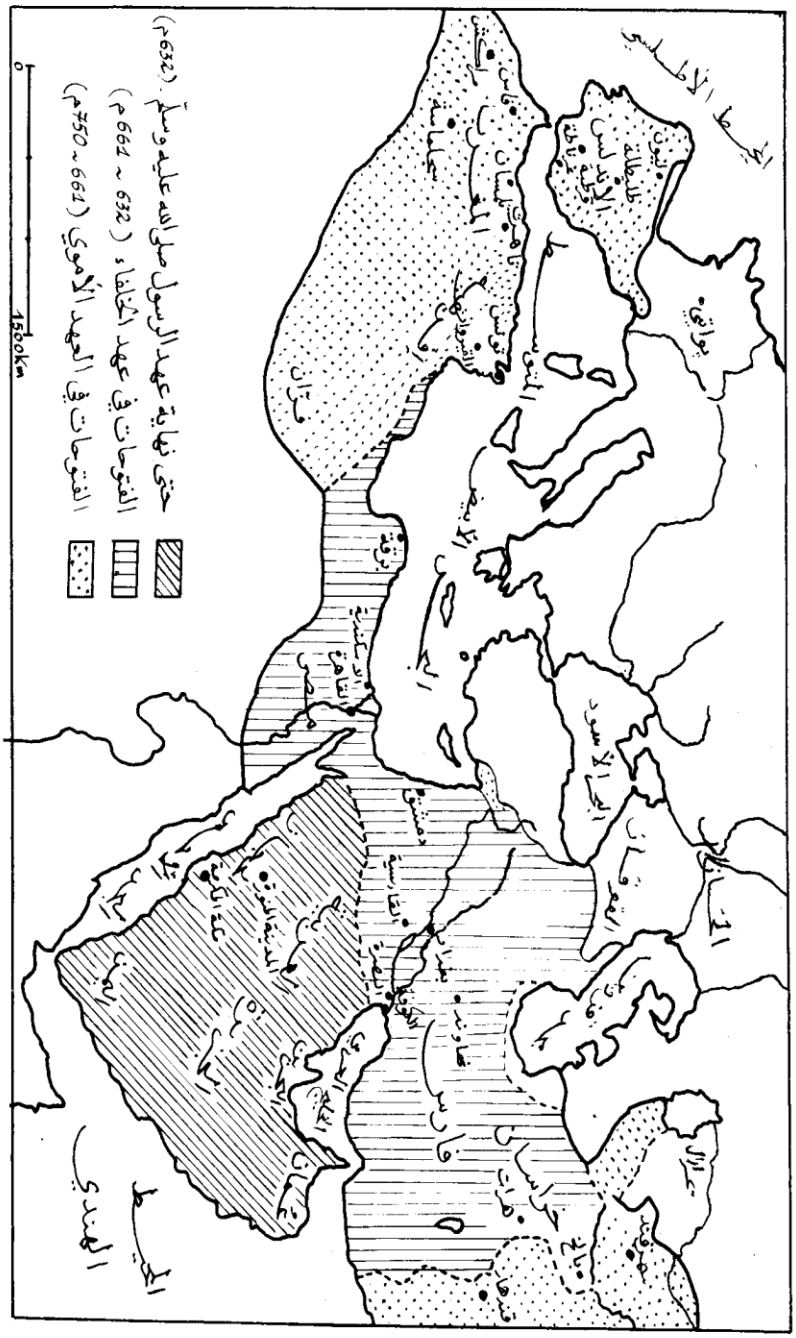


خريطة توسع الكتابة العربية في العالم الإسلامي

## الهوامش:

١ – البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٦٧ .

٢ – انظر حميد ، عبد العزيز ، ودفتر ، ناهض عبد الرزاق والعبيدي ، صلاح : الخط العربي ، ص ٢٢– ٢٣

٣ – يقصد باليبوسة ان تكون الحروف ممتده تتصف بالتربيع او الزوايا الحاده وقد عرف الخط الكوفي ايضا بالخط المزوي نسبه للزوايا وقد استخدم هذا النوع من الخط اليابس على المواد الصلبة مثل الاحجار والمعادن ، الشرعان ، نايف عبد الله : التعدين وسك النقود في الحجاز ونجد وتهامة ، ٢٠٠٧ ، المملكة العربية السعودية ، ص ٢٣٨ .

٤ – الحسيني ، حسين فرج : النقوش الكتابية على العمائر في مصر ، تقديم اسماعيل سراج الدين ، دراسات في الخطوط عدد ، ٤ ، ٢٠٠٧ ، الاسكندرية ، ص ٥٤ ، الجبوري ، يحي وهيب : الخط والكتابة في الحضارة العربية الاسلامية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، ١٩٩٤ ، ص ٧١ فما بعد ، و ، عبد العزيز ، ودفتر ، ناهض ععبد الرزاق والعبيدي ، صلاح : الخط العربي ، ص ١٠٨ .

٥ – عبادة ، عبد الفتاح : انتشار الخط العربي ، مصر ١٩٥٠ ، ص ٧٦.

٦ – هارون ، عبد السلام : تحقيق النصوص ونشرها ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٩٧٧ ، ص ٢٧

٧ – هونكه ، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب ، تعريب فاروق بيضون ، وكمال دسوقي ، بيروت ١٩٩٣ ، ص٢٦ .

٨ – المنجد ، صلاح الدين : تاريخ الخط العربي ، بيروت ١٩٧٩ ، ص١٢٧ .

٩ – افا ، عمر و المغراوي ، محمد : الخط المغربي وقائع وافاق ، الدار البيضاء ٢٠٠٧

١٠ – جمعة ، ابرهيم : دراسة في تطور الكتابات الكوفية في مصر في القرون الخمسة الاولى ، بغداد ١٩٦٩ ، ص ٧٢ .

١١ – الفاروقي ، اسماعيل و الفاروقي ، لمياء : اطلس الحضارة الاسلامية ، الرياض ١٩٩٨ ، ص٥١٧ .

١٢ – كحالة ، عمر رضا : الفنون الجميلة في العصور الاسلامية ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ١٧٦ .

١٣ – الجبوري ، يحيى وهيب : الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ص ١٤٤ .

١٤ – بعيون ، سهى محمود : كتابة المصاحف في الاندلس ، مجلة البحوث القرانية العدد ٧ ، مؤتمر الملك فهد الرياض ، ص ١٤٧ .

المصادر والمراجع :


•القران الكريم

•ابن زباله ، محمد بن حسن ( ت ١٩٩ هـ ) : اخبار المدينة المنورة : جمع وتوثيق ودراسة صلاح عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣ .

•افا ، عمر و المغراوي ، محمد : الخط المغربي وقائع وافاق ، الدار البيضاء ٢٠٠٧

•امين ، نضال عبد العالي : ادوات الكتابة ومواده في العصور الاسلامية ، مجلة المورد مجلد ١٥ عدد ٤ ١٩٨٦ ، وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨٦.

•بعيون ، سهى محمود : كتابة المصاحف في الاندلس ، مجلة البحوث القرآنية العدد ٧ ، مؤتمر الملك فهد الرياض ٢٠٠٦.

•البلاذري ، ابي الحسن احمد بن يحيى بن جابر ( ت٢٧٩هـ/٨٩٢م ): فتوح البلدان ، منشورات دار الكتب العلمية ، تحقيق ، عبد القادر محمد علي ، بيروت ٢٠٠٠ .

•التوحيدي ، ابو حيان علي بن محمد ( ت ٤٠٠ هـ ) : ثلاث رسائل ، تحقيق ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٥١ .

•الجبوري ، سهيلة ياسين : اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي ، مطبعة الاديب ، بغداد ١٩٧٧ .

•الجبوري ، كامل سلمان : الخط الكوفة تاريخه أنواعه تطوره نماذجه ، دار الهلال بيروت لبنان ، ١٩٩٩، ص ٥٧ – ٥٩.

•الجبوري ، يحي وهيب : الخط والكتابة في الحضارة العربية الاسلامية ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، ١٩٩٤ .

•جمعة ، ابراهيم : دراسة في تطور الكتابات الكوفية في مصر في القرون الخمسة الاولى ، بغداد ١٩٦٩ .

•الجميلي كمال عبد جاسم : اثر القران الكريم في الخط العربي ، مجلة البحوث والدراسات القرانية ، الجامعة الاسلامية بغداد ، عدد ٩ سنة ٢٠٠٥– ٢٠٠٦ .

•الحسيني ، حسين فرج : النقوش الكتابية على العمائر في مصر ، تقديم اسماعيل سراج الدين ، دراسات في الخطوط عدد ، ٤ ، الاسكندرية ، ٢٠٠٧ .
•حمزة ، حمزة حمود : التوريق والتزهير في الخط الكوفي : رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الاثار ، ١٩٨١ .
•حميد ، عبد العزيز و القيسي ، ناهض عبد الرزاق ، والعبيدي ،صلاح : الخط العربي ، مطبعة وزارة التعليم العالي ، الموصل ١٩٩٠ .
•رحيم ، هاشم طه : النظرية النبطية حول اصل الخط العربي ، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، عدد ١٠ ، ٢٠٠٤ .
•زغلول ، الشحات السيد : السريان والحضارة الإسلامية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٧٥.
•الشرعان ، نايف عبد الله : التعدين وسك النقود في الحجاز ونجد وتهامة، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٧.
•عبادة ، عبد الفتاح : انتشار الخط العربي ، مصر ١٩٥٠ .
•عبد الباقي ، شيماء محمود : دور نصارى العراق وتطورها حتى نهاية العصر الراشدي ، مجلة جامعة ديالى ، كلية التربية ، العدد ٥٣ ، ٢٠١١ .
•الفاروقي ، اسماعيل و الفاروقي ، لمياء : اطلس الحضارة الاسلامية ، الرياض ١٩٩٨.
•فرج ، محمد : الفتح العربي للعراق وفارس ، تقديم احمد حسن الباقوري ، القاهرة ، دار الفكر العربي١٩٦٦.
•كحالة ، عمر رضا : الفنون الجميلة في العصور الاسلامية ، دمشق ١٩٧٢ .
•المنجد ، صلاح الدين : تاريخ الخط العربي ، بيروت ١٩٧٩ .
•هارون ، عبد السلام : تحقيق النصوص ونشرها ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٩٧٧.
•هونكه ، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب ، تعريب فاروق بيضون ، وكمال دسوقي ، بيروت ١٩٩٣ .